

## تونس... الحصن الأخير!

يار ابي صعب

«قضية ميشال بوجناح» التي قسمت الرأي العام والنخب المختلفة في تونس، وأثارت نقاشات حادة، صادمة ومفاجئة أحياناً، يمكن اعتبارها الامتحان الحقيقي الأول مع «التطبيع الثقافي» الذي يواجهه بلد الاستثناءات الثقافية والسياسية، منذ ثورة 14 جانفي. «إمتحان أول» بهذه الضخامة، في البلد الذي أشعل شرارة ما سمي بـ «الربيع العربي»، لكنه قطعاً لن يكون الأخير! لا يتطلب الأمر كثيراً من الذكاء السياسي، كي ننتبه إلى أن مشاركة ميشال بوجناح في «مهرجان قرطاج الدولية» في 19 تموز (يوليو)، في حال لم يتخذ قراراً وطنياً حاسماً بالعودة عنها، هي قبل كل شيء بالون اختبار لمدي قدرة المجتمع التونسي، الغني والحيوي والمميز، بعد كل ما عاشه من هزات وتحولات واعادات نظر، على مواجهة الاختراق الإسرائيلي لوعيه وخطابه. أو بالعكس، مدى قابليته لـ «أسنة العدو»، وتلقف «فكرة إسرائيل» واحتضانها وقبولها، كونها «صنواً للتقدم والاعتناق»، و«شريكاً» في البحث عن «هويات جديدة»... أو في أفضل الحالات بصفتها «وجهة نظر» قابلة للنقاش، مرحباً بها تحت لواء «الانفتاح» و«الحرية» و«الاختلاف» و«القبول بالأخر» (!). وغير ذلك من فخاخ ومغالطات، واختراقات فكرية، تتخض عنها «الربيع» المجهض، وضمنت لتكون قشرة من السيلوفان اللاصق، المسموم، الذي يغلف العقل العربي «الجديد».

إن وقوف بوجناح في المدرج الروماني العريق في «قرطاج» بعد أيام، بما يحمله هذا الكوميدي الفرنسي، «التونسي الأصل»، من خطاب سياسي صريح داعم لإسرائيل، وانخراط معلن في المشروع الصهيوني، إنما هو تكريس في تونس، لبداية نهاية مرحلة أساسية من فهم الصراع العربي - الإسرائيلي. من دولة تأسست على الجزيرة، من عدو قاتل محتل، يواصل المذبحة منذ 70 عاماً، ماضياً في سرقة الأرض واغتصاب الحقوق، وطمس هوية شعب عربي، ومصادرة وجوده وشرعيته... من كيان غاصب يشكل تهديداً للشعوب العربية... إلى دولة «متوسطية»، «شرق أوسطية»، لا بد من التحوار معها، ثم التعاون معها، لبناء مستقبل مشترك على طريقة TomorrowLand، ومحو «خلافات الماضي» بين «الإخوة الأعداء»... تحت راية «الحضارة والحوار والسلام». بوجناح في تونس، لا يمكن إلا أن يكون سفيراً لهذا الاستسلام العظيم. كيف سمحت السذاجة لبعض أصدقائنا ورفاقنا، لشخصيات فكرية وثقافية، تشكل الطليعة التوراتية العربية، شخصيات نعرفها ونحترمها ونعزّز باننتاجها ووعيتها ومعاركها، أن تتناغى عن هذه الحقيقة السافرة، باسم «حرية الاختيار»؟ اختيار ماذا؟ السكن التي سيدبنا بها جيش الاحتلال بدعم من الفنان الضاحك؟ حرية قاتلنا الذي بات منطقتنا «خياباً» ووجهة نظر؟

نأمل ألا يكون صحيحاً هذا الهراء الذي نُسب إلى مدير المهرجان: «بوجناح كيهودي يحب إسرائيل، كما المسلمون يحبون مكة!» لا يتعلّق الأمر بديانة بوجناح، عليه أن يختار بين «إسرائيليتته» و«تونسيتته»، تلك هويتان لا يمكن جمعهما! بوجناح تونسي الأصل؟ يا سلام! سيلفان شالوم أيضاً أصله تونسي، وهو وزير الداخلية السابق في حكومة العدو، وصاحب فكرة «جدار العار»! أما يهود المغرب الكبير، فهم جزء من حضارته وهويته وتاريخه، وما زلنا نحمل كجرح في ضميرنا الخطأ التاريخي الذي أدى إلى «طردهم» من مدنهم بعد النكسة. لقد كانت أعظم هدية لإسرائيل، يهود المغرب الكبير، يمثلهم جورج عدّو وأبراهم السرفاتي وإدمون عمران المليلح، ولطالما كانوا رأس حربة الدفاع عن القضية الفلسطينية بوجه الكيان الغاصب الذي لم يتماهاوا معه يوماً. رينات الوهراني عاشت في فرنسا، ولم ترن يوماً إلى إسرائيل أو تدافع عنها. أما بوجناح فهو مناضل علني من أجل إسرائيل، فأى «انفتاح» هو الذي يملئ علينا أن نحمله على الراحات، في بلد محمد البراهمي وشكري بلعيد؟ لسنا طبعاً في معرض إعطاء الدروس لأحد. لسنا، على وجه الخصوص، في موقع الزايدة على أصدقائنا ورفاقنا وأهلنا في هذا البلد الذي يشكل أحد الحصون الأخيرة لحماية المشروع العربي النهضوي، العصري، المغاير، المنفتح، التعددي، العقلاني. حين ارتكبت «الجامعة العربية» تحت أمرة مملكة الانحطاط فعلتها المشينة، مصنفة حزب الله كمنظمة إرهابية، كانت تونس الدولة العربية الوحيدة التي نزل فيه الناس إلى الشارع، رافضين قراراً مرزوراً ضد حركة التاريخ، والذين نزلوا إلى الشارع يومذاك، كانوا في معظمهم قدميين وتقدميين، علمانيين وعلمانيين، يؤمنون بمجتمعات عربية حديثة وديمقراطية وعادلة، وطريق التقدم والعدالة، كما يعرفون ويعرفن جيداً، تمرّ في تحرير فلسطين! هذا لم يخف على «الاتحاد التونسي للشغل» الذي أصدر، بشرعيته الشعبوية والتاريخية، بياناً مجلجلاً يطالب فيه بإلغاء عرض بوجناح.

لسنا في موقع الزايدة، لكن «قضية بوجناح» تشكل منعطفاً في معركة مصيرية، الواجهة هنا هي ضد محاولات استدراجنا إلى ثقافة الاستسلام. وإذا جاء الكوميدي الصهيوني إلى قرطاج، فستكون تلك إشارة لا تخطئ إلى ما تختبئ لنا مرحلة «ما بعد الربيع العربي». لم نحقق العدالة والديمقراطية، لم نحزرن التعددية والحرية، لكننا بعنا روحنا للشيطان، وفتننا مجتمعاتنا، وسلّمنا أمتنا المنهارة لإسرائيل، الطاغية بن علي لم يكن ليجرؤ على ذلك، كلا، لا يمكن أن يكون كل ما حصده هو التطبيع الثقافي!

# ميشال بوجناح يقسم المثقفين

## صهيوني في «مهرجان قرطاج»!



تؤلّس - انيس الشعبوني

مرة أخرى، يثير حضور الفرنسي من أصل تونسي ميشال بوجناح الجدل في الشارع الثقافي التونسي بعد دعوته للمشاركة (19 يوليو) في «مهرجان قرطاج الدولي الـ 53». بمجرد أن أعلن مدير المهرجان مختار الرصاع عن البرمجة، انطلقت حملة على الفاييسبوك قادها عدد من الناشطين المعروفين بمقاومتهم للتطبيع، وخاصة «الحملة التونسية لمقاطعة ومناهضة

## الدستور الجديد (2014) صمت على تجريم التطبيع مع الكيان الصهيوني

التطبيع مع الكيان الصهيوني التي يقودها الوجه النقابي أحمد الكحلوي.

«حملة مناهضة التطبيع» و«حزب حركة النضال الوطني» الراضان لحضور بوجناح، بررا رفضهما بانتصاره لإسرائيل في العديد من المناسبات والحوارات الصحافية واعتبارها وطنياً ليهود الشتات كما سبّاهم، واعتبر الراضون أن دفاع بوجناح عن تونس لا يغفر له مواقفه الصهيونية، من بينها اعتباره قاتل الأطفال شارون

حماسة سلام!

لكن هذه الحملة التي انطلقت برسالة مفتوحة وجهتها «حملة مناهضة التطبيع» إلى وزير الشؤون الثقافية محمد زين العابدين، ومدير «مهرجان قرطاج» مختار الرصاع أثارت ردود فعل متباينة في الوسط الثقافي. بينما اعتبر منير فلاح (كاتب عام سابق لمهرجان قرطاج) استضافة بوجناح منطوية، متهماً المؤرخ عبد الحميد الأرقش المستشار في ديوان وزير الشؤون الثقافية بمسؤوليته عن هذه الاستضافة، ومذكراً بزياراته إلى إسرائيل وضلوعه في التطبيع الأكاديمي (تهمة نفاها الأرقش المتخصص في تاريخ الأقليات في تونس)، هاجم عدد آخر الداعين لإلغاء الحفلة مثل رضا الملولي مدير جريدة «التنوير»، ورجاء بن سلامة المدير العامة لدار الكتب الوطنية وحسونة المصباحي وأمال قرامي والفة يوسف وحمادي الرديسي... اعتبر هؤلاء أن رفض تنظيم حفلة لبوجناح (لون من ألوان الشعبوية والمزايدة بل اعتداء على روح تونس وثقافتها المتعددة) باعتبار بوجناح من اليهود التونسيين الذين لم يخلوا على بلادهم بتسويقها في فرنسا كوجهة سياحية في أكثر من مناسبة.

هذا الجدل قد يدفع إدارة المهرجان إلى إلغاء الحفلة أو بوجناح نفسه

إلى الاعتذار عن عدم الحضور، بخاصة أنه سيغني يوم 25 تموز (يوليو) في تل أبيب، ولن ينتهي الجدل الذي تخيره هذه المشاركات طالما أن الدستور التونسي الجديد (2014) صمت على تجريم التطبيع مع الكيان الصهيوني. إذ رفضت «حركة النهضة» التي كانت تتحكّم بمدارات المجلس الوطني التأسيسي، إدراج فصل ينص على تجريم التطبيع طالبت به القوى اليسارية والقومية. وقتها، تحجج رئيس كتلتها الصحي عتيق بأن الحركة عملت بنصيحة «حماس»

بعدم تجريم التطبيع! وفي الوقت الذي أعلن فيه مدير «مهرجان قرطاج» مختار الرصاع تمسكه بتنظيم الحفلة وتحمل مسؤوليته في ذلك، أصدرت وزارة الثقافة بياناً أهم ما جاء فيه أنها في صدد التشاور مع جمعيات المجتمع المدني لتحديد موقفها، كما رفعت الموضوع لرئاسة الحكومة. وتمثّل قضية بوجناح موضوعاً مثيراً للجدل لم يسبق أن عرفه الشارع التونسي بهذه الحدة في الانقسام، فهل تقام الأمسية يوم 19 تموز رغم حملة المقاطعة والإلغاء؟

على موقعنا: الرسالة المفتوحة التي وجهتها «الحملة التونسية لمقاطعة ومناهضة التطبيع مع الكيان الصهيوني» إلى جانب مقالات أخرى

## «الاتحاد العام التونسي للشغل»: التطبيع الثقافي الأشد فتكاً

مجرم الحرب أرييل شارون إلى تونس وندّد بالمجازر التي يرتكبها الصهاينة كل يوم ضدّ الفلسطينيين وعلى كل شبر من الأراضي العربية، وناصر الأسرى في السجون الصهيونية في إضراب الكرامة، فأبّه يدعو إلى إلغاء عرض الكوميدي ميشال بوجناح على مسرح قرطاج وفي كل المسارح، لا باعتبار ديانته اليهودية، فاليهودية مكوّن من المؤنات الثقافية والتاريخية في تونس وفي غيرها من البلدان العربية، ولنا من اليهود مناضلون وطنيون لا يشكك أحد في وطنيتهم مثل جورج عدّو وغيره، إنّما لمواقفه الصهيونية ولناصرته كيان عنصري فاشي ووقوفه إلى جانب السفّاح شارون وقيادته مظاهرات داعمة له، فضلاً عن تهافته الفئّي وخواء المضامين التي يقدّمها. إنّ المكتب التنفيذي الوطني يدعو وزارة الثقافة إلى تحمّل مسؤولياتها والتحرّي في كلّ العروض التي تبرمج وتغليب العروض التونسية في ظرف اقتصادي صعب، وفي الوقت عينه، يعبر المكتب التنفيذي عن احتجاجه على التبريرات الجوفاء التي يقدّمها مدير مهرجان قرطاج ويندّد باستهتاره بمواقف التونسيين، ومشاعرهم المعادية للتطبيع حين يعتبرها مجرد شعارات.

أصدر «الاتحاد العام التونسي للشغل». أعرق منظمة نقابية في تونس، بياناً يطالب رسمياً بإلغاء عرض بوجناح في قرطاج. وجاء في البيان: تحتلّ القضية الفلسطينية المكانة الرئيسة في قلوب التونسيات والتونسيين الذين كانوا دوماً ضدّ التطبيع مع الكيان الصهيوني بكل أشكاله. وقد تشكلت في تونس عبر عقود لجان وهيئات وجمعيات تناضل ضدّ التطبيع، وتدعم شعبنا في فلسطين في مقاومته للاحتلال الصهيوني البغيض. وما زالت عناوين هذا النضال قائمة في كلّ المحطّات تؤكد على مكانة القضية الفلسطينية لدى عموم الشعب، وأغلبية الطيف السياسي والمدني في تونس. وكان الاتحاد دوماً متصدراً هذا النضال، فاعلاً فيه، عاملاً على تحويله إلى نضال يومي دائم ضمن أولويات النضال الوطني الذي يخوضه قطرياً وإقليمياً ودولياً. وإنّ أغلب التوجّهات في تونس، بما فيها الرسمية، قد أجمعت على أن أخطر سبل التطبيع وأشدها فتكاً هي التطبيع الثقافي الذي يزعم القيم، ويربك القناعات ويميّع المبادئ، على هذا الأساس، فإنّ المكتب التنفيذي الوطني للاتحاد العام التونسي للشغل، كما وقف في وجه زيارة